المنشآت المائية التقليدية وتوظيفها السياحي بالبلاد التونسية
– مسلك حنايا المياه من زغوان إلى قرطاج أنموذجا –

أ.فـــاضل هـــانـــــي

جامعة صفاقس، تونس

الملخص :

تتمثل إشكالية البحث في دراسة دور المنشآت المائية القديمة في تنويع العرض السياحي ودور السياحة في المحافظة على هذه التقنيات التقليدية وتوظيفها في جلب السياح وفي تحقيق التنمية السياحية اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ومجاليا في المسلك السياحي "حنايا المياه" الذي تم إقراره، في السنوات الأخيرة. وهو يهدف إلى إحياء الذاكرة التاريخية لمسلك الماء الرابط بين زغوان وقرطاج وتثمين المواقع البيئية والأثرية. ولئن تم تهيئة بعض المجالات كمعبد المياه، وإحداث حديقة وطنيّة ومنتزه حضري بزغوان وصيانة بعض المعالم وتحسين البنية التحتية وفك العزلة على بعض المواقع فإن التوظيف السياحي بهذا المسلك بقى محدودا، ويتميز بسياحة عبور مازالت تأثيراتها ضعيفة على مستوى التنمية المحلية والجهوية. وتبقى مشكلة الصيانة من بين أهم التحديات نظرا لارتفاع كلفتها وعائداتها المالية الضعيفة. إن مستقبل السياحة بهذا المسلك يتطلب إرساء خطة واضحة يتم فيها مراعاة مختلف الجوانب الاقتصادية والبيئية والاجتماعية والثقافية وتشارك فيها جميع الأطراف وخاصة المجتمع المحلي.

Summary:

The problem of this research allows studying the role of traditional hydraulic techniques in the diversification of the tourist offer and the interest of cultural tourism for the conservation, valuation of this hydraulic heritage and realization of tourism development at the economic, social and cultural in the water circuit of Zaghouan to Carthage, which was created in the last years. This presidential project aims to revive the historical memory of the stream of Zaghouan to Carthage and the valuation of environmental and archaeological sites.In spite of the development of certain areas such as the temple of the water, the creation of a national park and an urban park in Zaghouan, the preservation of some historic monuments, the improvement infrastructure and accessibility of some sites, the tourism promotion in this circuit is insufficient. The circuit aqueduct is tourism of passage, in low impact on the local and regional development. The conservation of monuments is difficult and expensive.The development of ecotourism tourism in the circuit aqueduct requires consideration of ecological and economic dimensions and the preservation of cultural identity and interests of local communities for sustainable tourism development. The participation of the local populations in the valuation and development of this hydraulic heritage is necessary.

تقديم :

تنتمي البلاد التونسية إلى الضفة الجنوبية لحوض المتوسط، وهو مجال يهيمن عليه الجفاف. فظاهرة النقص في المياه هي مشكلة قديمة. وقد مثّلت من بين أهم شواغل مختلف الحضارات التي تعاقبت على البلاد حيث أولتها اهتماما كبيرا. فمنذ القدم حرص الإنسان على الحد من هذه المشكلة. وقد استنبط طرقا بسيطة لكنها مجدية لخزن المياه والحد من ضياعها. فبرزت تقنيات متنوعة منتشرة في مختلف جهات البلاد مثل المسقاة والجسور والمقود إضافة إلى المواجل والفسقيات والآبار والحنايا.

وإذا كان البعض من هذه المنشآت المائية التقليدية مازال متداولا فإن أغلبها قد اندثر أو في طريق الزوال نتيجة النزوح الريفي وعزوف الفلاحين عن إصلاحها وعدم الثقة بجدواها. لكن مع ظهور التنمية السياحية وبروز توجهات جديدة مثّل هذا التراث المائي الموروث عبر الأجيال إحدى خيارات تنويع المنتوج. وفي هذا الإطار تم بعث مسلكا سياحيا يرتكز على المنشآت المائية القديمة المتمثلة في الحنايا التي كانت تؤمن نقل المياه من زغوان إلى قرطاج .

سنتعرض أولا إلى خصائص المنشآت المائية التقليدية وثراءها وتنوعها ثم سنتطرق إلى دراسة خصوصية المسلك السياحي وأهمية تراثه المائي وكيفية تحوله من معالم متدهورة ومهمشة إلى تراث جدير بالحفظ والتثمين والتوظيف. كما سنتناول مؤهلات هذا المسلك وأهم التحديات التي يواجهها النشاط السياحي والشروط الضرورية لإنجاح توظيف التراث المائي في مسلك حنايا المياه لتنمية سياحة مستدامة.

1. المنشآت المائية التقليدية: تراث مائي ثري لكن أغلبه مهملا

مصطلح التراث مشتق من اللاتينية ويعني وراثة الآباء. ويشير أيضا إلى أشياء تستمد أصولها من الماضي لكنها مثمنة ومعتبرة وجديرة بالصيانة والتوظيف. لذلك فهو ارث جدير بالصيانة[1]، والتوظيف والتثمين. وقد اعتبره البعض " كل ما هو جدير بالذكر في الماضي لكي يكتسب قيمة في الحاضر"[2].

وقد شهد الحقل الدلالي لهذا المصطلح توسّعا خلال العقود الأخيرة حيث تجاوز المفهوم الضيق للكلمة المرتبط أساسا بمسألة المعالم التاريخية والأثرية ليشمل اليوم مختلف المعالم والفنون والأعمال الفنية. كما يتجسد في العادات والتقاليد التي يعتبرها سكان المدن أو الأرياف مجموعة قيم موروثة عن الأسلاف والتي تعد المحافظة عليها وصيانتها أمرا ضروريا.

وأصبح يضم أشكالا أخرى كالمشاهد والتراث الطبيعي والصناعي والمنجمي والتراث المائي الذي يتمثل في الطرق المائية التقليدية (المنشآت المائية الصغرى) وهو بصفة عامة التهيئة المائية القديمة المتنوعة منها الخاصة بمقاومة سرعة المياه ومنها ما هو صالح للشرب.

وبالنسبة للبلاد التونسية فرغم صغر مساحتها حوالي 163 ألف كلم² (مقارنة بالجزائر والمغرب...)، فإنها تحتوي على تراث مائي ثري ومتنوع، نتيجة ظروف بشرية (البيئة السائدة والكثافات السكانية الريفية العالية والتنظيم الجماعي للحياة والثقة في تراثهم المتوارث عن الأجداد...) ومعطيات

[1] Origet du Cluzeau Claude: **Le tourisme culturel**, coll. Que sais-je ? PUF Paris, 1998, p4

[2] Levy J. et M. Lussault : **Dictionnaire de la géographie et de l'espace des sociétés**, Paris : Belin 2003,p.692.

طبيعية تتمثل في الانجراف الحاد للأراضي والبيئة الهشة والمناخ المتوسطي الذي يغلب عليه الجفاف والقحولة[1] ...

فالبلاد التونسية تنتمي إلى الضفة الجنوبية لحوض المتوسط، وهي مجال تهيمن عليه ظاهرة الجفاف. وتتميز التساقطات بها بتباين توزعها الزمني والمجالي حيث تنخفض المعدلات السنوية من الشمال إلى الجنوب الشرقي. فإذا كان متوسط فصل الأمطار يصل إلى 103 يوما في السنة في بنزرت وإلى 81 بجندوبة فإنه لا يتجاوز 33 يوما بقفصة و32 يوما بقابس[2].

وتؤكد عدة دراسات على التطابق القوي بين التباينات المجالية للمعدلات السنوية والتغاير الزمني لهذه المعدلات. وتتميز المعدلات السنوية أيضا بعد انتظامها وبتباينها الزمني بين فصول نزول المطر وفصل الصيف الذي تشتد فيه الحرارة والجفاف. قدر متوسط التساقطات بحوالي 35 مليار م³. وتبلغ الموارد السطحية 2,7 مليار م³ يقع جمعها بواسطة السدود والمنشآت المائية الصغيرة والمواجل والفسقيات والبحيرات الجبلية... أما الموارد الباطنية فتقدر بـ1969م³.

وهكذا فإن الإمكانيات الجملية تصل إلى حوالي 4669 مليار م³ تعتبر قابلة للتعبئة. لقد أكدت عدة دراسات على أن ندرة الموارد المائية من ثوابت المجال التونسي[3]. ومثل هذا العائق الطبيعي، منذ القدم، مشكلة واجهت مختلف الحضارات التي تعاقبت على البلاد. وقد دفع ذلك إلى استنباط منشآت تقليدية للتحكم في المياه. وهي تقنيات مائية صغرى تم تنفيذها وتسييرها من طرف سكان الأرياف والمدن بطرق تلقائية[4]، وتتميز بتنوع وظائفها. فبعضها يهدف إلى التحكم في المياه والمحافظة عليها ومقاومة قوة السيلان كالمسقاة والجسور والمقود والمدرجات... بينما يستخدم خزن المياه خاصة لاستعمالات منزلية في المناطق الريفية والحضرية وللتزود بالماء الصالح للشراب كالفسقيات والمواجل لجمع المياه وخزنها والحنايا لنقل المياه على مسافات بعيدة.

تتميز هذه المنشآت المائية بأهمية انتشارها الجغرافي الذي يتناسب مع الخصائص الطبوغرافية والمناخية والهيدرولوجية للوسط المحلي. ففي الجهات شبه الرطبة التي تتجاوز فيها كميات الأمطار

---

[1] حمزة، علي (1989)، "خاصيات وتطور الوسائل التقليدية للمحافظة على مياه السيلان بالبلاد التونسية"، ***الجغرافية والتنمية***، عدد8-9، ص9-13.

[2] الشريف، عبد الله (1995)، "تهيئة الموارد المائية: الثوابت والتحولات"، مؤلف جماعي، *مسائل في تهيئة التراب والبيئة في تونس*، تونس، سلسلة مراجع، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، ص.44.

[3] Kassah, Abdelfettah (1995) ,«L'eau et l'agriculture irriguée en Tunisie : Essai de bilan » Cherif Abdallah, Kassah Abdelfettah. et al**.,** *L'eau et l'agriculture irriguée en Tunisie*, publication, Faculté des lettres, Manouba, p10-11.
Mamou Ahmed et Kassah Abdelfettah (2000), « Les nouveaux défis de la gestion de l'eau en Tunisie », ***revue de l'économie méridional,*** vol. 48 n°191, p.304.
الشريف عبد الله، مصدر سابق، ص46

[4] حمزة، علي ، مصدر سابق، ص14.

550 مم كانت التقنيات المعتمدة تهدف بالأساس إلى صرف المياه الزائدة عن المزروعات حيث تم إنشاء قنوات صغيرة تحيط بالقطع المزروعة وتوجه مياه الأمطار بعيدا عنها[1]. وتم خلال القرن العشرين إحداث بحيرات جبلية للمحافظة على المياه واستغلالها في فصل الصيف[2].

وفي المناطق شبه الجافة تتمثل المنشآت بالأساس في المدارج . وتتميز جهات النطاق الجاف الأعلى والتي تتراوح فيها الكميات بين 200 و400 مم بإنتشار تقنيات المدارج والمصاطب والحواجز الحجرية والمقود التي اشتهرت خاصة في الوسط التونسي وبالتحديد على أودية زرود والفكة...

كما انشأت الخنادق في المرتفعات إضافة إلى عدة سدود على الأودية الهامة في الجبال ومن أهمها السد الروماني بالقصرين، أما في جهة الساحل التونسي فقد انتشرت طرق المساقي. وتمثل تقنية الجسور أهم المنشآت في النطاق الجاف السفلي بينما في المناطق الصحراوية حيث لا تتجاوز كميات الأمطار الـ100مم/ السنة فقد ظهرت بها عدة تقنيات لتعبئة مياه العيون ومياه الموائد المائية مثل الخرائق والفجارات والفقارات والأغواط[3]...

و يعود ظهور المنشآت المائية التقليدية إلى ما قبل العهد الروماني بكثير. وقد أكدت ذلك العديد من البحوث التي تحدثت عن تعدد آثار التهيئة المائية الفلاحية الموروثة عن العصور القديمة مثل بحوث بيار بيني (Penet P.) حول المنشآت المائية بسيدي بوزيد وجان ديبوا (Despois J.) حول الساحل والسباسب السفلى وعلي حمزة حول حوض وادي زرود...

وقد ورث الرومان عدة تقنيات وطوّروها منها المنشآت التي تهدف إلى الحفاظ على مياه السيلان للمآرب الفلاحية والمنزلية كالخزانات مثل خزان جلمة والسدود كسد واد الدرب قرب القصرين... إضافة إلى التهيئات المائية التي تهدف إلى حماية الأراضي كالمدارج الجبلية والخنادق وتسرب المياه إلى جوف الأرض والأشرطة الحجرية والحواجز الحجرية بالأودية الجبلية كتلك الموجودة في جبل السلوم وسمامة قرب القصرين وتيوشة غربي سبيبة [4] .

[1] حمزة علي، مصدر سابق، ص15.

[2] El Amami S. (1984), ***Les aménagements hydrauliques traditionnels en Tunisie,*** centre de recherche en génie rural, Tunis, 68p.

[3] Kassah, Abdelfettah (1998), « Eau et développement agricole au Sahara maghrébin : enjeux, conflits et arbitrages », ***Sécheresse***, p. 95-96.

[4] حمزة على 1989، مصدر سابق، ص28

خريطة عدد1: توزع المنشآت المائية التقليدية التونسية حسب المناخات

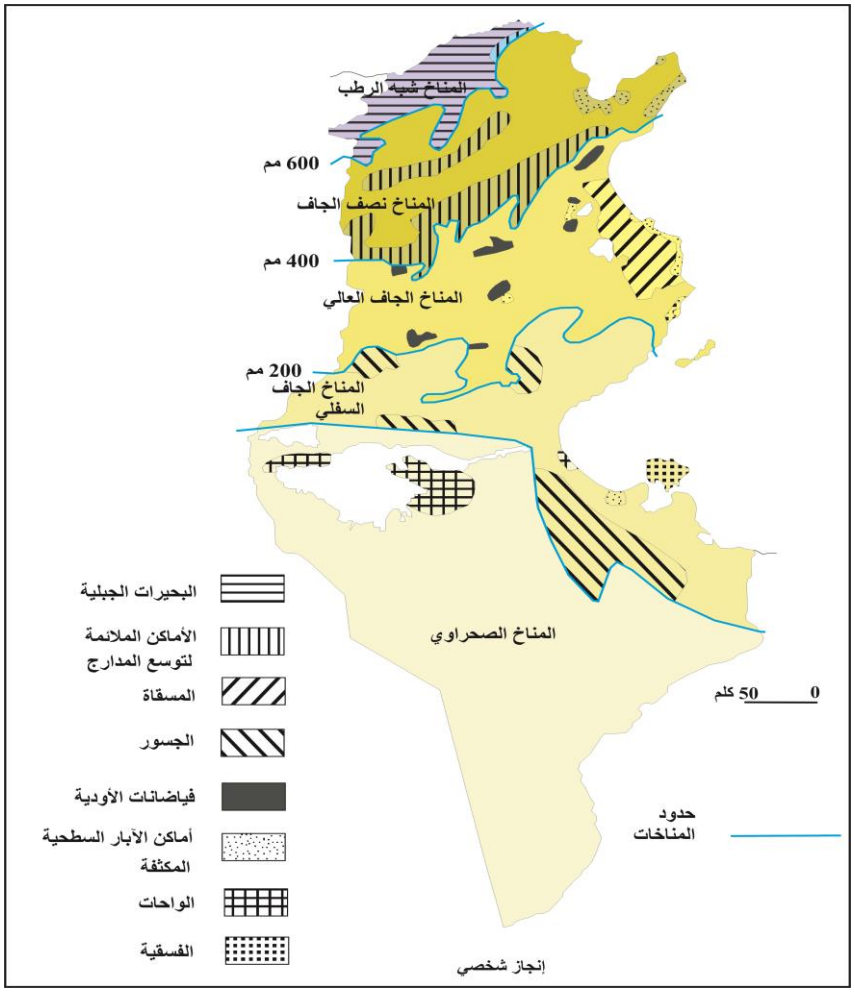

وفي العهد العربي، وصف الرحالة البكري والإدريسي وابن حوقل التهيئات المائية التي حظيت بأهمية كبرى خاصة في عهد الأغالبة. وقد تميزت بتركزها في المناطق الجافة وخاصة السباسبية والواحية وشملت تزويد المدن بالماء الصالح للشراب والري. كما عرفت المنشآت المائية تطورا حيث اثريت بتقنيات أخرى مستمدة من الطرق اليمنية في استغلال مياه الفيضانات أو من التقنيات الفارسية في مجال استخراج المياه الباطنية بواسطة الأنفاق، من ناحية أخرى شهد تقنين التصرف في الماء تقدما حيث شمل بصفة خاصة المنشآت الجماعية بالمناطق السباسبية (سهل سيدي بوزيد وسيدي يعيش والقيروان وسبيبة...) وبالمناطق الواحية [1]. وتواصل استعمال هذه المنشآت حتى أواخر القرن التاسع عشر.

[1] الشريف عبد الله 1995، مصدر سابق ص48.

صورة عدد1: بركة الأغالبة الكبرى من بين أهم مآثر الأغالبة	صورة عدد 2: حنايا فاطمية في منطقة الشريشيرة بالقيروان

الصورة الأولى للباحث والثانية اخذت من المصدر :

Mahfoudh Faouzi et al. (2000)**, *L'histoire de l'eau et des installations hydrauliques dans le bassin de Kairouan***, Tunis, 82.p

لكن في عهد الاستعمار دخلت طورا من الإهمال والتدهور وتعرض العديد منها إلى الإتلاف، فقد أكد جون بونسي (Poncet J. 1961)، أن جل المدرجات وغيرها من عناصر التهيئة المائية التي كانت تتميز بها سفوح الجبال بالتل العالي والظهرية ومرتفعات الوسط قد وقع التخلي عنها بعد انتصاب الحماية كما اهملت في نفس الفترة صيانة الجسور بمناطق الجنوب ومنشآت تحويل مياه السيلان بسهول سيدي بوزيد والقيروان[1].

ويعود تهميش هذه المنشآت إلى محاولة تقنين هذه المياه من قبل الاستعمار بجعلها ملكية عامة ومنع المجموعات المحلية من التصرف فيها إضافة إلى انهيار التنظيمات الجماعية التي كانت أساس هذه المشاريع وتفاقم النزوح الريفي وعزوف الفلاحين عن إصلاحها وعدم الثقة بجدواها خاصة بعد ظهور المشاريع الكبرى منذ الفترة الاستعمارية[2].لكن مع تنامي السياحة كخيار تنموي ورافد أساسي للتنمية وبروز توجهات جديدة مثّل هذا التراث المائي الموروث عبر الأجيال إحدى خيارات تنويع المنتوج. وفي هذا الإطار فقد تمّ، في السنوات الأخيرة، إقرار مسلكا سياحيا عرف بـ" طريق الماء " انطلاقا من زغوان وصولا إلى قرطاج مرورا بمناطق مقرن وجبل الوسط وأوذنة وباردو وسكرة.

2. التراث المائي بالمسلك السياحي: من الإهمال والتهميش إلى الصيانة والتوظيف السياحي

أطلق على هذا المسلك تسمية "طريق الماء" أو "حنايا المياه" نظرا لارتباطه بالعنصر المائي، ولا ينحصر حضور الماء في الأبعاد المادية المتمثلة في المنشآت المائية القديمة كالسدود ومعبد المياه والحنايا بل أيضا في بعده التاريخي. فالتقنيات التي استعملها الرومان لجلب الماء من زغوان إلى قرطاج تعد من بين أهم المنشآت المائية القديمة.

[1] الشريف عبدالله 1995، مصدر سابق ص53.

[2] حمزة علي، 1989، مصدر سابق، ص33.

يمثل معبد المياه (صورة عدد 3) منطلقا لنقل الماء إلى قرطاج ويوجد على أحد السفوح الشمالية لجبل زغوان. ويعد من أكبر المعابد التي بنيت في البلاد ويتميز عنها بارتباطه بالمياه، فقد شيد لعبادة الماء وتقديسه، كما يعتبر من أكثر المعالم التّي حَافظت على صبغتها الأولى منذ نشأتها. وأقيم المعبد على الطراز الرّوماني، وتم استخدام الحجارة التي جُلبت من جبال زغوان وضواحيها، بالإضافة إلى استعمال الرخام المصري واليوناني والإيطالي للزخرفة. ويتكوّن المعبد من أدراج موزعة على اليمين والشمال، توصل إلى " ببيت المقدس" أو "المعبودة" حيث آلهة الماء والبحر، "نبتون"، كما تنفتح على الصّحن والرواق أين تقام طقوس التعبّد، ثم تنتهي إلى الحوض، الذّي تتجمع فيه المياه، ومنه تنقل إلى الحنايا.ومنذ بداية القرن 4م، وعندما أصبحت المسيحية الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، وقع إزالة كل التماثيل التي لها علاقة بالوثنية من المعابد والمعالم، وتم إيداعها كعناصر فنية استعملت للزينة في الحمامات، كما تم ردم بعضها. ومع الفتوحات الإسلامية، تمّ إزالة التماثيل والأصنام، فيما استخدمت الأعمدة والتيجان في بناء الحمامات والفنادق والمساجد كالجامع الكبير في زغوان الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن 17م. وفي سنتي 1998 و2001 تم اكتشاف معلمين آخرين يقعان في محيط المعبد، الأوّل هو معبد مياه بيضاوي الشّكل، لا تزال الحفريات حوله قائمة إلى اليوم، والثاني معبد المياه الصغير.

أما الحنايا (صورة عدد 4)، فقد أكدت البحوث التاريخية على أنها تعود إلى فترة هادرينوس الذي قام بتشييدها لتزويد مدينة قرطاج بالماء بعد أن اجتاحت البلاد 5 سنوات من الجفاف[1]. وكانت تؤمن 32 مليون لتر يوميا إلى مدينة قرطاج. وعلى مسافة طويلة[2] تقدر بحوالي 132 كلم [3] موزعة بين حنايا انشأت فوق الأرض وبلغ طولها حوالي 124كلم، وبين حنايا مطمورة تحت الأرض امتدت على قرابة 8كلم إضافة حنايا ثانوية على مسافة 8 كلم[4]، وتنطلق الأولى من معبد المياه في زغوان والثانية من عين جوقار.

[1] Ferchiou, Naïdé (1999), « les aqueducs de Zaghouan à Carthage, et leurs structures complémentaires, Note préliminaire », ***Afica***, n°XVII, p.76.

[2] مقارنة بالحنايا الرومانية القديمة مثل أكا مرسيا Aqua Marcia في روما بايطاليا وحنايا بروفين Brevenne في ليون بفرنسا وشرسيل Cherchellفي الجزائر وكرابون Craponne في ليون وأكا آبييا بروما Aqua Appia والتي تمتد على التوالي على مسافة تقدر بحوالي 91كلم و66 و45 و25 و16. انظر جدول حنايا قرطاج في:
Clamagirand E. et al., (1990), « L'aqueduc de Carthage", ***La houille Blanche,*** n° 6, p.425.

[3] Mahjoubi Ammar et Slim Hédi (1993), « La maîtrise de l'eau à l'époque antique », collectif, *L'Homme et la maitrise de l'eau en Tunisie*, Ibla, p.34 et Caillat, Ph., (1973), « Extrait d'une note sur la restauration de l'ancien aqueduc de Carthage ». ***Revue archéologique***, XXVI, p.298.

[4] Caillat, Philippe. op. cit., p298.

صورة عدد 3: معبد المياه	صورة عدد 4: حنايا المياه بقرية بنت سعدان
المصدر : الباحث	

وشهدت هذه المنشآت المائية إهمالا في عهد الوندال وكذلك بعد الفتوحات الإسلامية. وفي العهد الفاطمي تم ترميم جزء منها. لكن عمليات الصيانة الكبرى سجلت في منتصف القرن13 خاصة في عهد الخليفةح المستنصر بالله الحفصي، الذي لم يجد حلا لمشكلة النقص في المياه بالنسبة لمدينة تونس غير إصلاح هذه الحنايا (كما أشار إلى ذلك العبدري في الرحلة المغربية) لذلك فقد قام بتهيئة مسلكين الأول نحو مدينة تونس والثاني نحو منتزهات أبي فهر[1] ورأس الطابية وجنان أريانة. إلا أنه خلال العهد العثماني والاستعماري اهملت العديد من هذه المنشآت واندثر جزء منها وشهد الجزء الآخر تدهورا.

غير أن توجه السياحة التونسية، مع نهاية الثمانينات، نحو تنويع المنتوج قد أعاد الاعتبار لهذا التراث المائي. وهكذا أصبحت الحنايا بتراثها الثري مجالا جديرا بالحفظ والصيانة والتوظيف.

فهي تنفرد بهندسة معمارية فريدة ومشاهد مميزة جسمت قدرة مشيدوه على مواجهة ضغوطات المجال المتعلقة بالطبوغرافيا وصعوبات البناء في مناطق مرتفعة وأخرى منخفضة، والذي تطلب إقامة أقواس عالية لنقل المياه، وهو إنجاز قياسي بالنّظر إلى تلك الفترة الزمنية وللمعدات الموجودة آنذاك. لذلك فقد تم في السنوات الأخيرة، إقرار المسلك السياحي " طريق الماء " انطلاقا من زغوان وصولا إلى قرطاج مرورا بمناطق مقرن وجبل الوسط وأوذنة وباردو وسكرة (خريطة عدد2)،

[1] Daoulati, Abdelaziz (1993), L'alimentation en eau de Tunis sous le règne des Hafsides, collectif, *L'Homme et la maitrise de l'eau en Tunisie*, Ibla, p.42.

خريطة عدد2: مسلك حنايا المياه

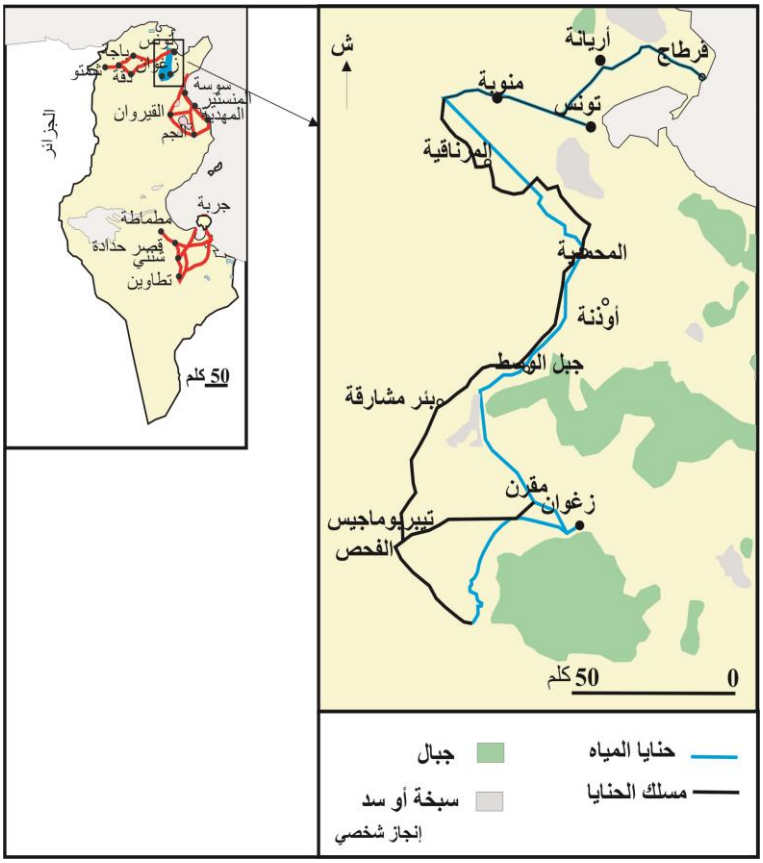

وهو يهدف إلى إحياء الذاكرة التاريخية لمسلك الماء بين زغوان وقرطاج. ويتضمن هذا المشروع الرئاسي الذي تفوق استثماراته 4 ملايين دينارا إحداث منشآت سياحية وبيئية هامة منها مشروع بناء متحفين مائيين بكل من زغوان وقرطاج وبناء ثلاثة محطات بكل من المحمّديّة والسّيجومي وباردو لإبراز تاريخ الماء في الفترات البونيّة والرّومانية والإسلاميّة العربية.

وقد تم تهيئة معبد المياه الذي يعد نقطة الانطلاق في مشروع مد طريق المياه نحو قرطاج وذلك باعتمادات قدرها مليونين و200 ألف دينار. وشهدت المساحات المتاخمة لهذا المعلم بناء مركز تنشيط سياحي متكون من فضاءات خدمية وأخرى لعرض المنتوجات الحرفية، وإحداث حديقة وطنيّة ومنتزه حضري بلغت تكلفته 3,000 ألف دينارا لإبراز الخصائص البيئيّة للمدينة حول معبد المياه على مساحة 1900 هكتار وتحسين نوعية الحياة بالوسط الحضري من خلال خلق فضاء ترفيهي للعائلة والطفل وتنشيط السياحة الثقافية والبيئية ولإضفاء مزيد من الجمالية على المنطقة. إذا يهدف هذا المسلك السياحي إلى تثمين المواقع البيئية والأثرية كأوذنة وتيبربوماجيس.

إن اختيار هذا النوع من المسالك يعبر عن توجه جديد في الميدان السياحي. فهو يقدم للزائرين المنشآت المائية التقليدية التي ابتكرها القدامى لتحويل الماء من مجال داخلي يشهد فائضا وهي منطقة زغوان إلى مناطق ساحلية تشكو نقصا في هذه الموارد وهي مدينة قرطاج. وبذلك يمكن تصنيفه ضمن السياحة البيئية التي تساهم في حماية التراث الطبيعي والثقافي وتدمج المجتمع المحلي والأهالي في

مخطط التنمية كما تقدم للزائرين مشاهد متنوعة من الإرث الطبيعي والثقافي وهي موجه بالأساس إلى صنف معين من السياح الذين يأتون أفرادا أو في مجموعات صغيرة[1]. إذا فالحرفاء المستهدفون هم أساسا السياح الثقافيون. فهم يختلفون عن السياح الذين يتم جلبهم عن طريق وكالات الإسفار لزيارة المناطق الساحلية بأثمان زهيدة.

3. دعائم مسلك "حنايا المياه"

يتدعم هذا المسلك بعدة مواقع أثرية هامة مرتبطة بعنصر الماء كما يتضمن عدة استراحات ومشاهد مميزة.

3.1. مواقع أثرية هامة مرتبطة بعنصر الماء : يوجد بالمسلك عدة مواقع أثرية هامة لعل أهمها: الموقع الأثري بقرطاج ومدينة تونس العتيقة المرتبين ضمن قائمة التراث العالمي إضافة إلى معبد المياه بزغوان وأوذنة وتيبربوماجيس...

– **أوذنة:** يوجد موقع أوذنة على الطريق الرومانية التي تصل قرطاج بتيبربوماجيس والراجح أن تاريخ المدينة الأثرية يعود إلى ما قبل الانتصاب الرّوماني بشمال إفريقيا، ويعتبرها بلينيوس الأكبر (القرن ام) في كتابة " التاريخ الطبيعي" من أقدم المستوطنات بإفريقيا.

ويتوفر بالموقع تراث مائي ثري تجسم بالأساس في الحمامات العمومية نذكر منهما خاصّة حمّام عائلة لابيري (Laberii). وتوجد هذه الحمّامات على بعد حوالي 200م شرقيّ الكابتول وهي معلم ضخم، يظهر للمشاهد في شكل كتل من بقايا جدران، وأسقف تساقطت على إثر الإنفجارات الكبيرة التي أصابته خلال الحرب العالميّة الثانية. إنّ كبر مساحة المعلم تدعونا إلى مقارنته بالحمّامات المتواجدة بشمال إفريقيا مثل حمّامات أنطونيوس بقرطاج أو الحمّامات العموميّة بمدينة بلاّريجيا.

يتم تزويد هذه الحمّامات التي تشمل على طابقين بواسطة قنوات تحمل المياه فوق أعمدة تمّ العثور على بقاياها مؤخرا. هذه المياه تجلب من عيون تنبع من الجبال المجاورة الموجودة بالجنوب وبغرب المدينة. كما يحتوي الموقع على كذلك بقايا صهاريج ضخمة. ولم يتم تزويد المدينة بالمياه عبر الحنايا القريبة منها التي تربط زغوان بقرطاج. فقد انشأت للغرض حنايا خاصة بها كانت تمول الموقع بالمياه المستقاة من العيون الجبليّة المجاورة.

[1] Nations Unies (2004), ***Ecotourisme et tourisme culturel durable en Tunisie***, p.9.

خريطة عدد 3: مؤهلات مسلك حنايا المياه

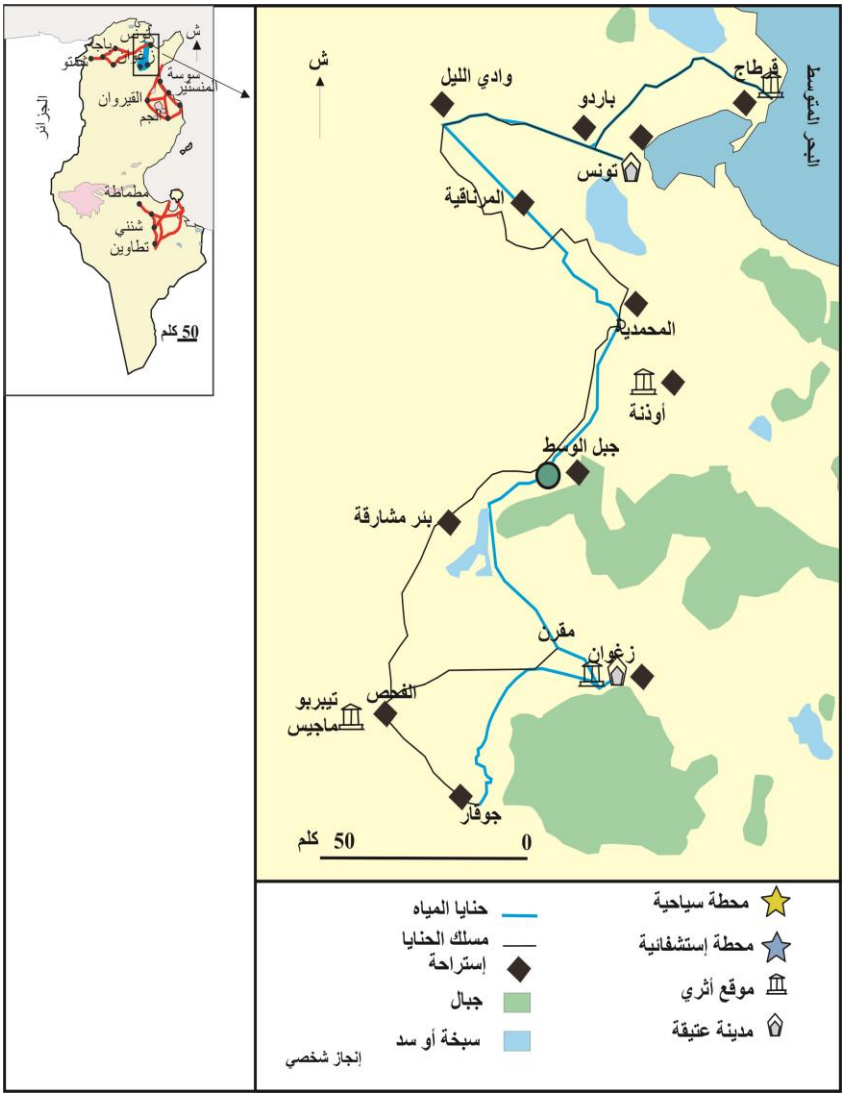

– **تيبربوماجيس** : يعد من أكبر المواقع الأثرية في تونس إذ يمسح حوالي 40 هكتارا، ولم تجر فيه إلاّ حفريّات جزئيّة. و"تنجّده" عدّة مبان فخمة في الغالب، مثل الكابتول (وله ستّة أعمدة في الواجهة واثنتان من خلف يبلغ طولها 8,5 م وقطرها 0,85 م) أو معبد السّلم ومعبد مركور ومعبد كايلستيس راعية المدينة ومعبد سيراس الذي حوّل إلى بازيليكا في القرن الرابع، وحمّامات الصيف، وحمّامات الشتاء، بالإضافة إلى السوق والحيّ السكنيّ...

– **مدينة تونس العتيقة** :يعود تاريخ تونس العتيقة إلى أكثر من 25 قرنا، لكن المشهور أنّها تأسّست من قبل حسان ابن النعمان على أنقاض بلدة قديمة في القرن الثامن ميلادي حيث اتخذها كقلعة دفاعية حصينة. وبفضل موقعها، بين البحيرة والسبخة وفوق ربوة تمكّنت مدينة تونس من أن ترث قرطاج العاصمة البونية العظيمة. تم تريبها منذ 1979 ضمن قائمة التراث العالمي نظرا لمحافظتها على نسيجها العمراني الأصيل وثراء تراثها حيث تحتوي مدينة تونس على ما يقارب 700 معلما. وتتنوّع هذه المباني إلى معالم مدنية ودينيّة وعسكرية إضافة إلى المنشآت المائية التي تتمثّل

في الحنايا القديمة التي قام بتشييدها الرومان لجلب الماء من زغوان إلى قرطاج وقام المستنصر الحفصي بترميمها واستغلالها في قصوره بالقصبة وبرأس الطابية وفي رياض أبي فهر.

– **قرطاج:** عرفت منذ تأسيسها في سنة 814 ق.م. على يد الفينيقيين ازدهارا كبيرا جعلها تبسط نفوذها على جزء هام من المنطقة المتوسطية طوال عدة قرون إلى أن تمّ تدميرها على يد الرومان. وقد شيّد الرومان على أنقاض قرطاج الفينيقية مدينة عرفت بنفس الاسم قامت بدور رئيسي في نشر الحضارة الرومانية بإفريقيا الشمالية وإثرائها بفضل ما عرفته من نشاط سياسي واقتصادي وديني.

واعتبارا لأهمية هذا الموقع وشهرته وما احتفظ به من طابع أثري وطبيعي ومعماري متميز تم ترتيبها من قبل ضمن لائحة التراث العالمي سنة 1979. وتحتوي قرطاج على تراث مائي ثري مثل صهاريج ملقا وحمامات أنطونيون...

3.2. الاستراحات ومواقع الزيارة والمشاهد المتنوعة

يتضمن المسلك عدة استراحات تمثل مواقع الزيارة وتتلخص في الجدول الموالي.

جدول عدد 1: الاستراحات وموقع الزيارة بمسلك حنايا المياه

الاستراحة	موقع الزيارة	علاقته بالعنصر المائي
زغوان	معبد المياه والمدينة العتيقة والآثار الأندلسية	عين زغوان وعين سيدي علي عزوز
جبل زغوان	الكهوف	العيون الجبلية
- مقرن - جوقار - تيباربوماجيس - بئر مشارقة	التقاء حنايا زغوان مع حنايا جوقار وبقايا معبد المياه بجوقار والموقع الأثري بتيباربوماجيس وسد بئر مشارقة	التقاء فرعي الحنايا عين جوقار السد والحنايا
جبل الوسط	الموقع الأثري / المحطة الاستشفائية	الحمامات القديمة
- أوذنة - المحمدية - المرناقية - وادي الليل	الموقع الأثري بأوذنة بقايا قصر الباي سد المرناقية الحنايا	الحنايا تعبئة مياه السيلان
-باردو - تونس العتيقة	متحف باردو الحنايا ميضة السلطان جامع الزيتونة	حنايا المياه قاعة الوضوء بالجامع وتصفية المياه
قرطاج	الموقع الأثري	الميناء البونيقي حمامات انطونيون صهاريج مالقا

المصدر : الباحث

– **مشاهد متنوعة :** يتدعم المسلك بمشاهد متنوعة. فالمشاهد الريفية تمتد من مدينة زغوان التي تمثل منطلق المسلك إلى مدينة المحمدية. ويتميز هذا المقطع بالتنوع إذ يشمل السهول التي تمتد على عشرات الكلمترات وتتميز بمشاهد متنوعة: أنشطة فلاحية ومنازل ريفية... إضافة إلى المرتفعات الجبلية بزغوان ذات المشاهد الطبيعية والنباتية والغابية المتنوعة...

صورة عدد 5: جبل ازغوان

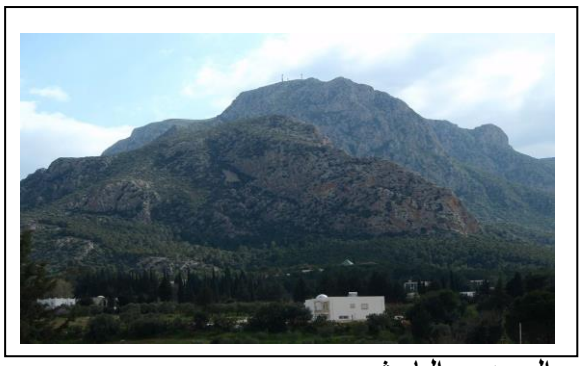

المصدر : الباحث

وتمثل المشاهد الشبه حضرية مجال انتقال بين المشهد الريفي والحضري. وتشمل المناظر الطبيعية كجبال الرصاص وبوقرنين إضافة إلى السهول المحيطة بالعاصمة من الجهة الغربية والتي تبعد عنها بحوالي 20 كلم. وتتميز بهيمنة الأنشطة الفلاحية. وتشمل المشاهد الحضرية تونس الكبرى والمدينة العتيقة التي تمتد على مساحة تقدر بحوالي 270 هك. وقد تم إنشاءها فوق ربوة يبلغ ارتفاعها قرابة 40م. وتحتوي على عدة معالم تاريخية هامة منها المدنية كالأسواق والمدارس والمنازل ودينية كالمساجد والزوايا... والعسكرية كالأسوار والقلاع ومائية كالحمامات والفسقيات والمواجل... كما تتميز بتنظيم عمراني تغلب عليه المساحات المبنية والأنهج الملتوية والضيقة... ويتميز هذا المقطع بمشاهد طبيعية تتمثل بالأساس في ربوة تونس وسبخة السيجومي.

4. تحديات المسلك السياحي "حنايا المياه"

4.1. توظيف سياحي محدود (الخريطة الموالية) : يتميز المسلك السياحي بضعف خدماته وأنشطته السياحية رغم قدم النشاط السياحي به. ففي بداية السبعينات تم بعث نزل العرائس بزغوان قصد استقطاب نوعية خاصة من السياح يتجه اهتمامهم إلى العنصر الطبيعي والمعماري والتاريخي. لكن هذه المبادرة لم تجد النجاح المنتظر وسريعا ما تحول هذا الإنجاز إلى فندق شعبي ليست له أي علاقة بالأهداف التي بعث من أجلها. ويقتصر العرض الفندقي على إقامة الحمامات وهي نزل يوجد في المحطة الاستشفائية بجبل الوسط ودار زغوان.

خريطة عدد 4: توزع الأنشطة السياحية في المسلك السياحي

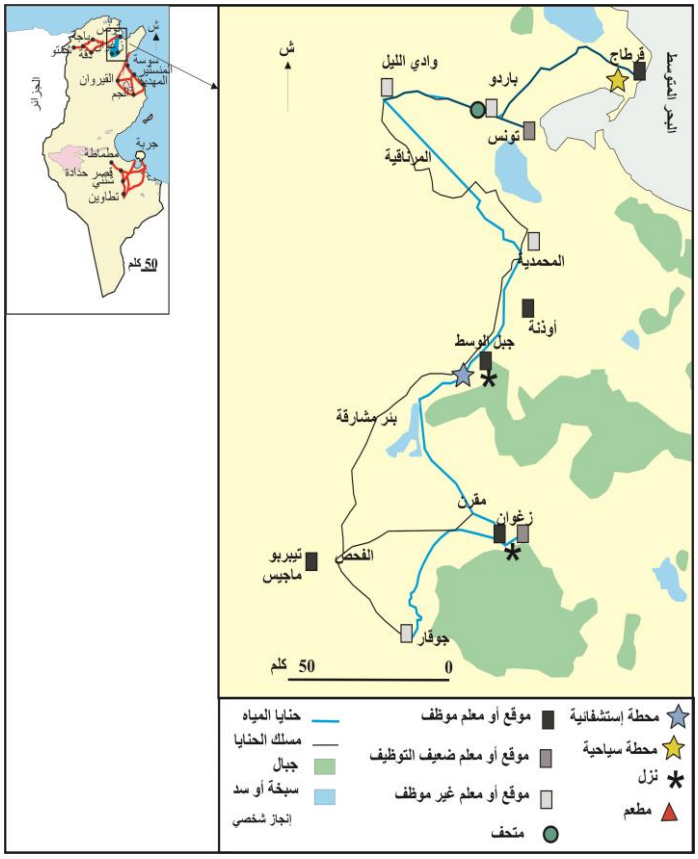

ورغم ثراء التراث المائي بالمسلك فإن عدد المعالم الموظفة سياحيا بقى ضعيفا. فباستثناء حمامات انطونيون بقرطاج وميضة السلطان بتونس العتيقة والمواقع الأثرية بأوذنة وتيبوربوماجيس وجبل الوسط ومعبد المياه بزغوان فإن بقية المواقع غير موظفة مثل معبد المياه بجوقار وقصر الباي بالمحمدية... تبقى خدمات الإطعام والمتاحف ضعيفة التوطن في هذا الجزء من المسلك كما نسجل غياب وكالات الأسفار. ورغم أهمية التراث المادي واللامادي وثراء المشاهد فإن عدد الزوار به بقى ضعيفا وفي تراجع مثلما يتضح في خلال الرسم البياني الموالي.

رسم بياني عدد1: تطور عدد الزوار بين 2009 و 2012

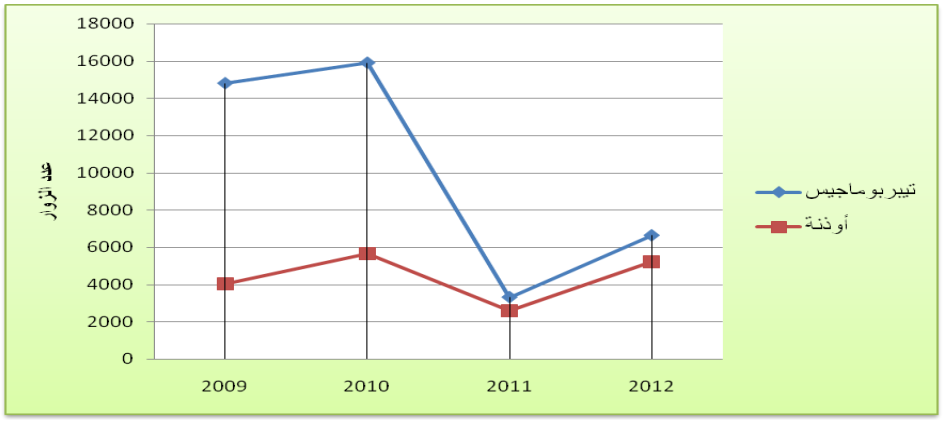

المصدر :الديوان الوطني التونسي للسياحة: السياحة التونسية بالأرقام،2012

سجل عدد زوار الموقع الأثري بتيبوربوماجيس تراجعا كبيرا قدرت نسبته بـ (-55,17%) بين 2009 و2012، بينما شهد تطور عدد الوافدين تذبذبا في نفس الفترة رغم زيادته التي قدرت بـ 29,41%، وهذا مرتبط بالأوضاع الأمنية التي عشتها البلاد منذ 2011.

كما أن نسبة الوفدين إليهما بقيت محدودة حيث قاربت 12 ألف سائحا (6635 في تيبربوماجيس و5228 بأوذنة) وهو ما يمثل حوالي 1% من عدد زوار المعالم والمتاحف بالبلاد التونسية سنة 2012 (الديوان الوطني التونسي للسياحة، 2012)، وهذا ما يؤكد على الطابع الجماهيري للسياحة. فالغالبية القصوى لم يستهويهم التراث الثري بالمسلك السياحي.

وقد أكدت ذلك نتائج الاستمارة الشخصية[1]، فنسبة الزوار الذين وفدوا إلى الموقعين لأول مرة، بلغ 81% بتيبربوماجيس و79% في معبد المياه و89 % بأوذنة. بينما لم يتجاوز عدد القادمين الأجانب أكثر من مرة على التوالي 5% و10% و7%، وهذا ما يبرز أن الثقافة والطبيعة لا تحظى باهتمام السياح إلا بنسبة محدودة. ولعل تطور عدد الزوار خلال السنة يدعم ذلك.

رسم بياني عدد 2: تطور عدد زوار الموقعين الأثريين بتيبربوماجيس وأوذنة حسب الأشهر لسنة 2012

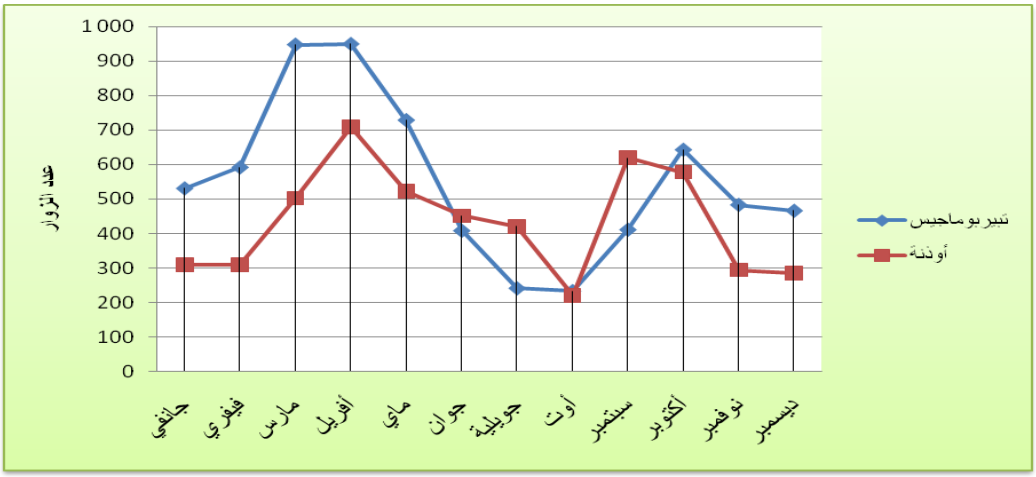

المصدر: الديوان الوطني التونسي للسياحة: السياحة التونسية بالأرقام،2012

يبين منحنى تطور الوافدين إلى الموقعين ارتفاعا خلال شهري مارس وأفريل. ففي تيبربوماجيس لا يقل العدد عن 948 زائرا أما في أوذنة فإن عدد الزوار يسجل أعلى مستوى له خلال شهر أفريل حيث لا يقل عن 700 سائحا، ويعود ذلك إلى خصوصية المسلك في هذه الفترة حيث المشاهد

[1] وهي استمارة موجهة للسياح الأجانب الوافدين على المسلك السياحي. وقمنا باستجواب المبحوثين بطرق عشوائية في أماكن مختلفة: الموقع الأثري بتيبربوماجيس وأوذنة ومعبد المياه بزغوان وبصفة شخصية وبطرق تراوحت بين الكتابي والشفوي. وقد أنجزت في أشهر مارس وأفريل وماي وجوان من سنة 2014 وشملت 600 سائحا أي أكثر من 11 % من عدد القادمين إلى المسلك خلال هذه الأشهر. وقد تم اعتماد إحصائيات سنة 2012، حيث لم يكن ممكنا الحصول على معطيات سنة 2013.

الطبيعية الخلابة، كما يفسر بتزامن هذه الفترة مع عطلة الربيع بالنسبة للتونسيين والأجانب (شهر مارس) ومع شهر التراث (أفريل) في البلاد التونسية.

وتعرف بقية الأشهر انخفاضا متواصلا إلى شهر أوت حيث لا يسجل غير 221 زائرا في أوذنة و233 في تيبربوماجيس، ويفسر ذلك بتركز اهتمام السياح على الشواطئ، وهو ما يؤكد على أن الوافدين هم من الطبقات الشعبية وقع جلبهم عن طريق وكالات الأسفار. ونظرا لتركز هذه الشركات في المناطق الساحلية، فان المنتوج السياحي بالمسلك يتم ترويجه في إطار مسالك تجمع مختلف مناطق الشمال الشرقي: الجبل والمناطق الأثرية والمشاهد الطبيعية.

وتؤكد نتائج الاستمارة الشخصية ارتباط المسلك بوكالات الأسفار، ذلك أن نسبة السياح الذين توافدوا على المجال المعني بالبحث عن طريق وكالات الأسفار بلغ 78% بأوذنة و74% بتيربوماجيس و71% في معبد المياه بزغوان. كما تبرز أهميّة وكالات الأسفار في مستوى مصادر المعلومات مثلما يتضح من خلال الرسم الموالي.

رسم بياني عدد 3 : أهمية وكالات الأسفار في الإشهار السياحي في المواقع الأثرية بأوذنة ومعبد المياه وتيربوماجيس

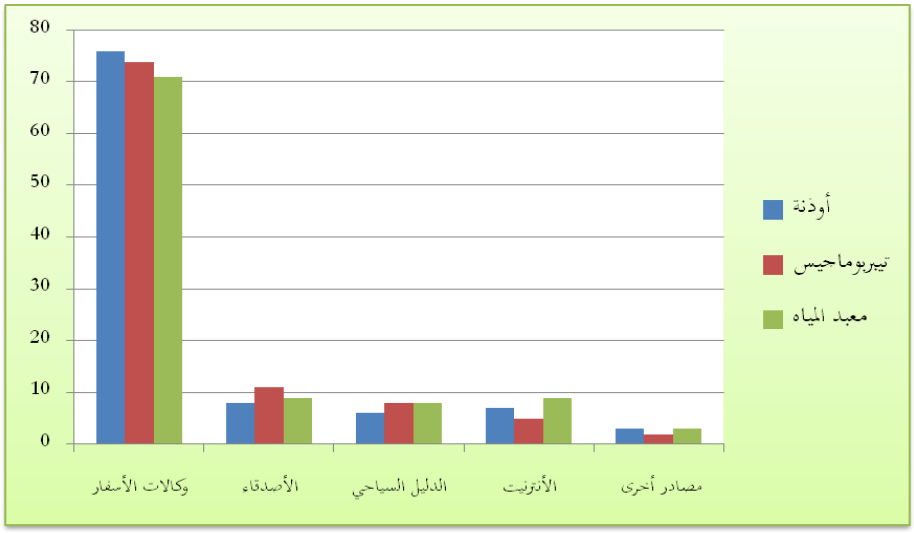

المصدر: نتائج الاستمارة الشخصية سنة 2014

وأكّد جلّهم بأنّ أوّل المعلومات حول المسلك السياحي هي حنايا المياه وموقعا تيبربوماجيس وأوذنة وبدرجة أقل معبد المياه. أما فيما يخص وسائل النقل المعتمدة فقد بيّنت نتائج الاستمارة أن نسبة الزّوار التي تعتمد على الحافلات والسيارات تتجاوز ¾. ويبرز ذلك هيمنة وكالات الأسفار التي تمثل المنظم الرئيسي لرحلاتهم نحو المواقع الأثرية، بينما لا تتعدى نسبة الوافدين الذين يستعملون سيارات الكراء (8 % في أوذنة و6 % في معبد المياه و7% في بتيربوماجيس). وتبقى وسائل النقل الخاصة والجماعيّة ضعيفة الاستعمال من قبل السياح.

ويتميز المسلك بسياحة عبور يبرز ذلك في مدّة الزيارة التي يقضيها الزّوار في هذه المجالات التاريخية حيث لا تتجاوز الـ 3 ساعات. ذلك أن أغلب السياح يقع جلبهم عن طريق وكالات الأسفار التي تؤمن لهم كل الخدمات بما في ذلك خدمة النقل، وهو ما يجعل السائح محكوما بوقت قصير جدا غير كاف لزيارة مواقع أثرية غنية بتراثها واكتشاف معالمها.

4.2. مشكل الصيانة والتحديات البيئية والأمنية

تواجه معظم منشآت هذا التراث المائي الثري مشاكل صيانة. فأغلب المعالم في حاجة إلى تدخل أو في حالة متدهورة والبعض الآخر في طريق الزوال. كما أن عمليات الصيانة تستغرق وقتا طويلا إضافة إلى كونها مكلفة. فمثلا تكلفة تهيئة معبد المياه بزغوان قدرت بحوالي 250 ألف دينارا بينما بلغت مصاريف ترميم معلم الكابيتول بتيبربوماجيس بـ120 ألف دينار (المعهد الوطني للتراث)، كما تطرح عدة إشكاليات تتعلق بالمردودية الاقتصادية للمعلم المزمع صيانته.

إن التراث المائي في المسلك ثري ومازال البعض من المعالم التاريخية مجهولا. ومن الضروري القيام بدراسات وبحوث للتعريف بهذه الآثار وترتيبها وصيانتها. فعديد المباني يتطلب اكتشافها عمليات تنقيب وبحث قصد استغلالها لتنمية السياحة البيئية في المسلك.

إضافة إلى هذه التحديات تواجه المعالم التاريخية مشاكل بيئية تتمثل في تفاقم ظاهرة النفايات الصلبة وهي منتشرة بكثرة خاصة في الأحياء الحضرية كالمدينتين العتيقتين بتونس وزغوان. وتظهر في شكل أكداس من القمامة (البلاستيك ومواد سائلة خطيرة وأدوية...) في غير انتظام بالرغم من وجود حاويات لجمع الفضلات في بعض الأحيان. وتحتد هذه المشكلة عبر مكوث القمامة لفترة طويلة في نفس المكان وهو ما يتسبب في تشكل برك من الفضلات الخطيرة، إضافة إلى انتشار هذه الظاهرة على طول الأنهج الرئيسية والمسالك السياحية.

إلى جانب التجاوزات التي تمس المشهد العام والفتحات ومواد البناء (مدّ خطوط الكهرباء والغاز سوداء اللون على واجهة المباني البيضاء وقلّة الاعتناء بالمظاهر الخارجية للمباني والمحلات التجارية وعدم التصدي للتجاوزات المخالفة للقوانين كاللوحات الإشهارية والأغطية التي لا تراعي الضوابط التي حددتها المجلات العمرانية) وكل ذلك يسهم في تشويه المشاهد التقليدية مما يحدّ من تثمين القيمة التراثية للمدينتين العتيقتين.

من ناحية أخرى فان جانب من بعض المواقع الأثرية كتيبربوماجيس قد تحول إلى مرعى للأغنام وقد نتج عن ذلك تلوث بصري يخص المشهد الأثري وبيئي يتمثل في تكدس فضلات الحيوانات... كما تعد عمليات ترويج " التاريخ والثقافة ونمط الحياة التقليدية" من بين التحديات التي يواجهها النشاط السياحي بالمسلك ذلك أن المادة العلمية المقدمة في إطار التعريف بالمعالم والمواقع الأثرية غير ثرية ولا تتضمن معطيات معمقة وهذا من شأنه أن ينقص من قيمة المبنى، كما أن

الاقتصار على اللغتين العربية والفرنسية في أغلب المواقع... والاقتصار على المعالم الهامة فقط يضعف مجهودات ترويج الثقافة والتراث والتاريخ بالمسلك (صورة عدد 6).

من ناحية أخرى تعد التحديات الأمنية خاصة بعد الثورة من بين الصعوبات التي يواجهها النشاط السياحي في مسلك حنايا المياه. فقد تعددت العمليات الإرهابية التي استهدفت السياحة بصفة مباشرة في البلاد. كما أن تحصن الإرهابيين بالجبال وخاصة منها سلسلة الظهرية وتعدد العمليات الإرهابية بها شكلا تحديا أمام نجاح السياحة البيئية بهذا المسلك.

صورة عدد 6: سوء تقديم الموارد الثقافية (الاعتماد على لغتين فقط) يضعف مجهودات ترويج التراث والثقافة والتاريخ

المصدر : الباحث

5. من أجل تنمية سياحية مستدامة

إن مسألة الاستدامة بدأت تطرح منذ نهاية الثمانينات في إطار استراتيجيات التنمية في مختلف الأنشطة من بينها السياحة. ففي سنة 1987 صاغت لجنة الأمم المتحدة تعريفا للتنمية المستدامة. وهي "التنمية التي تلبي حاجيات الحاضر دون الإخلال بحاجات الأجيال القادمة". إذن يتمثل هدفها في تحقيق حياة أفضل للسكان بواسطة أيسر السبل لتلبية حاجيات الحاضر دون تهديد حاجيات الأجيال القادمة. وتستند إلى مبدأ التصرف العقلاني في استخدام الموارد واستهلاكها وخاصة منها الناضبة مع ضرورة توخي العدالة في استخدامها بين الشعوب والأجيال البشرية. وتوضح أجندا 21

مبادئ التنمية المستدامة وهي ترتكز على تحقيق التوازن بين 3 جوانب: البيئية والاقتصادية والاجتماعية[1].

وترتبط السياحة بالتنمية المستدامة من خلال تطبيق هذه المبادئ في هذا القطاع. فقد أكدت الاتفاقية العالمية للسياحة المستدامة (Lanzarote, 1995)، في النقطة الأولى على أن تكون التنمية السياحية مرتكزة على معايير الاستدامة. كما أقرت المنظمة العالمية للسياحة بأن مبادئ التنمية وطرق التصرف في السياحة المستدامة ملائمة لكل أشكال هذا النشاط وكل أصناف الوجهات. فمصطلح السياحة المستدامة يستند إلى مبادئ التنمية المستدامة: أن يراعى على المدى البعيد الخصوصيات البيئية وأن يكون مربحا اقتصاديا ومقبولا اجتماعيا وثقافيا[2].

يفترض استدامة السياحة، كما هو الحال بالنسبة لاستدامة الصناعات الأخرى، 4 مظاهر متداخلة تتمثل في الاستدامة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية (الرسم التوضيحي التالي).

رسم توضيحي عدد 1: أبعاد التنمية السياحية المستدامة

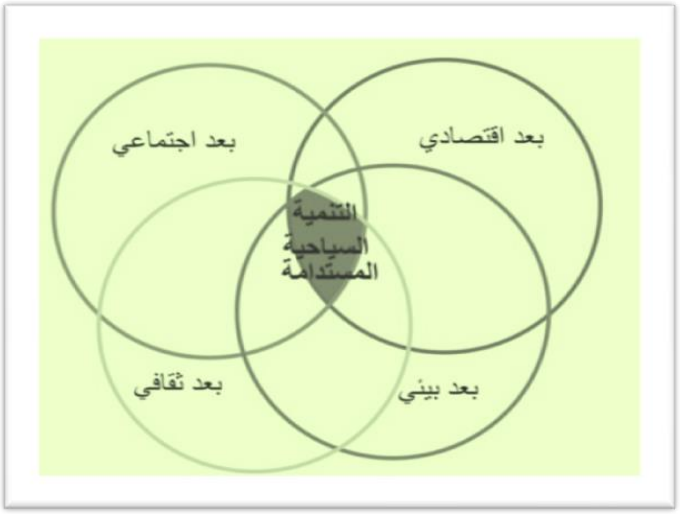

المصدر : الباحث

إن توظيف المنشآت المائية القديمة سياحيا يعد أمرا ضروريا. فهو من ناحية يوفر عائدات مالية بالإمكان استغلالها لصيانة هذه المعالم التاريخية كما يمكّن من ناحية أخرى من تثمينها واستغلالها كعنصر هام في التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولا يمكن إدراك التنمية السياحية المستدامة في مسلك "حنايا المياه" دون تصوّر شمولي ومقاربة تدمج مختلف الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبيئية (الخريطة عدد5).

[1] www.tourisme.info/dossiers/tourisme_durable.pdf.
[2] Nations Unies (2004), ***Ecotourisme et tourisme culturel durable en Tunisie,*** p6.

5.1. على المستوى الاقتصادي : تتطلب التنمية السياحية المستدامة في مسلك حنايا المياه ضرورة:

– تحسين عمليات الإشهار السياحي بإبراز الخصوصيات المعمارية والمشاهد المميزة للمنشآت المائية القديمة التي جسمت قدرة مشيدوها على مواجهة ضغوطات المجال (الطبوغرافيا وصعوبات البناء...)، وهو إنجاز قياسي بالنّظر إلى تلك الفترة الزمنية وللمعدات الموجودة آنذاك.

– العمل على تحسين عمليات ترويج " التاريخ والثقافة والبيئة ونمط الحياة التقليدية" وذلك بإثراء المادة العلمية المقدمة التي يجب أن تتضمن معطيات معمقة من شأنها أن تزيد من قيمة المبنى وتنويع اللغات وعدم الاقتصار على العربية والفرنسية والانكليزية... ولابد من تعميمها على مختلف المعالم لا أن تقتصر على الهامة منها.

– توجيه المنتوج نحو صنف السياح الثقافيين ذوي الدخل المرتفع. ذلك أن أغلب السياح الذين يتم جلبهم للمسلك في شكل مجموعات هم من الطبقات الشعبية.

– تشجيع السياحة الداخلية من أجل تثمين أفضل لمشاريع السياحة الثقافية وتمديد الموسم السياحي، كما يساعد ذلك على إنجاح تنمية جهوية أكثر توازنا فضلا عن تحسيس العموم برهانات وتحديات البيئة والتراث.

– التحكم في الأدفاق السياحية في الزمن والمجال.

5.2. على المستوى الاجتماعي والثقافي والمجالي : تتطلب التنمية السياحية ضرورة:

– الترابط والتنسيق بين كل العناصر الفاعلة.

– تشجيع مشاركة كل الأطراف في عمليات التهيئة ومشاريع التنمية السياحية وتوظيف التراث وخاصة منهم السكان المحليين.

– استغلال المعالم التاريخية بصفة دائمة.

– صيانة وترميم المعالم المائية وتوظيفها السياحي مع احترام أصالتها وقيمتها التاريخية.

– الحد من انتشار مظاهر التلوث والفضلات.

– التصدي للتجاوزات التي تشوّه المشهد العام للمعالم التاريخية كاللافتات الإشهارية والتوقف الممنوع أمام المعالم التاريخية...

– توفير الأمن السياحي بهذا المسلك يعد أمرا مفروضا لضمان توافد مجموعات السياح بصفة دائمة وزيارة الأماكن الفريدة كالمغاور والعيون المائية داخل الجبال بكل طمأنينة. إذن بات من الضروري القيام بدراسات علمية لتوظيف التراث المائي بمسلك حنايا المياه والتعريف بالمنشآت المائية القديمة وتثمينها وإبراز خصوصياتها المعمارية ومشاهدها الطريفة والمميزة. كما يعد بعث متاحف تقدم صورة عن هذا التراث المائي بالمسلك أمرا ضروريا إضافة إلى إنشاء استراحات ومحطات والاستغلال المشاهد الطبيعية الثرية كالمغاور الجبلية.

خريطة عدد 5: الخريطة السياحية المستقبلية لمسلك حنايا المياه

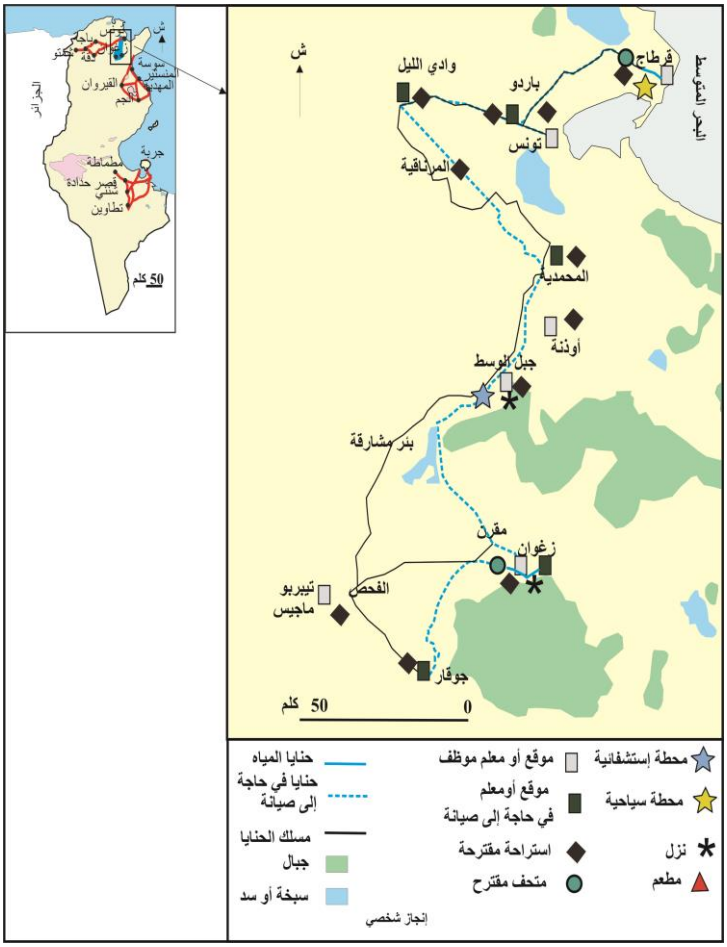

خاتمة :

مما لا شك فيه أن التراث المائي يمكن أن يساهم في تنويع العرض السياحي. كما أن توظيفه يمكن من المحافظة عليه وصيانته. ويعد توظيف حنايا المياه مبادرة جديدة لا تخلو من طرافة وإضافة. لكن تثمين هذا المسلك يواجه عدة تحديات وتعتبر العوائق المالية من أهم الصعوبات التي تواجهها عمليات الصيانة. ومن ناحية أخرى يبقى التوظيف السياحي للتراث دون المنشود. كما أن العائدات المالية المنتظرة من هذه المشروع مازالت دون مستوى الاستثمارات. وأن التوجه نحو السياحة الجماهيرية بأسعار منخفضة جدّا في إطار منافسة متفاقمة يخفّض من المكاسب المنتظرة والاستثمارات اللازمة للصيانة والتوظيف. من جهة أخرى يمثل المشكل البيئي (الفضلات المنزلية وتقام النفايات الصلبة والتجاوزات التي تمس المشهد العام والفتحات ومواد البناء...) من عوائق التنمية السياحة في هذه المجالات التاريخية.

إن التنمية السياحية في مسلك "حنايا المياه" تتطلب إرساء خطة عاجلة للمحافظة على التراث والارتقاء بتوظيفه السياحي. ولا يمكن إدراك ذلك دون تصوّر شمولي ومقاربة تدمج مختلف الأبعاد الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والمجالية وتسهم فيها مختلف الأطراف وخاصة السكان المحليين.

*** قائمة المراجع:**

المراجع العربية :

1. الشريف، عبد الله (1995)، "تهيئة الموارد المائية: الثوابت والتحولات"، مؤلف جماعي، *مسائل في تهيئة التراب والبيئة في تونس*، تونس، سلسلة مراجع، المعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، ص.41-87.

2. حمزة، علي (1989)، "خاصيات وتطور الوسائل التقليدية للمحافظة على مياه السيلان بالبلاد التونسية"، ***الجغرافية والتنمية***، عدد8-9، ص.7-35.

المراجع الاجنبية:

*1. Caillat, Ph., (1973), « Extrait d'une note sur la restauration de l'ancien aqueduc de Carthage ». **Revue archéologique**, XXVI, p.298. p. 292-301.*

*2. Clamagirand E., Rais S., Chahed J., Guefrej R., et Smaoui L., (1990), « L'aqueduc de Carthage", **La houille Blanche,** n° 6, p.424-431.*

3. Daoulati, Abdelaziz (1993), L'alimentation en eau de Tunis sous le règne des Hafsides, collectif, L'Homme et la maitrise de l'eau en Tunisie, Ibla, p.37-50.

*4. El Amami S. (1984), **Les aménagements hydrauliques traditionnels en Tunisie,** centre de recherche en génie rural, Tunis, 68p.*

*5. Ferchiou, Naïdé (1999), « les aqueducs de Zaghouan à Carthage, et leurs structures complémentaires, Note préliminaire », **Afica**, n°XVII, p.69-86.*

6. Henia, Latifa (1993), climat et bilan de l'eau en Tunisie : essai de régionalisation climatique par les bilans hydrique. Publication faculté des sciences humaines et sociales Tunis, 331p.

*7. Kassah, Abdelfettah (1995), «L'eau et l'agriculture irriguée en Tunisie : Essai de bilan » Cherif Abdallah, Kassah Abdelfettah. et al**.,** L'eau et l'agriculture irriguée en Tunisie, publication, Faculté des lettres, Manouba, p9-35.*

*8. Kassah, Abdelfettah (1998), « Eau et développement agricole au Sahara maghrébin : enjeux, conflits et arbitrages », **Sécheresse**, p. 95-102.*

9. Mahjoubi Ammar et Slim Hédi, (1993), « La maîtrise de l'eau à l'époque antique », collectif, L'Homme et la maitrise de l'eau en Tunisie, Ibla, p.31-34.

*10. Mamou Ahmed et Kassah Abdelfettah (2000), « Les nouveaux défis de la gestion de l'eau en Tunisie », **revue de l'économie méridional,** vol. 48 n°191, p. p.249-256.*

*11. Nations Unies (2004), **Ecotourisme et tourisme culturel durable en Tunisie,** p.9.*

*12. Origet du Cluzeau Claude (1998): **Le tourisme culturel**, coll. Que sais-je ? PUF, Paris, 127p.*